تعالجُ مشاوراتُنا الجاريةُ اليومَ أحدَ أهمِّ الأسئلةِ وأكثرِها إلحاحاً في العالَمِ اليوم، وهو: الحوارُ بينَ المسلمين والمسيحيين، والبحثُ عن أُفُقِ التَّعارفِ أو التَّفاهمِ المتبادلِ.

إنَّ تحقيقَ التَّعارفِ بينَ هاتين الطَّائفتَينِ الدِّينيتين أمرٌ ضَرُوريٌّ؛ لأنَّ غيابَ هذا الفهمِ المتبادلِ قد أسهم في نُشوبِ فِتَنٍ جَمَّةٍ، ومضيعةٍ للوقتِ، ومعاناةٍ هائلةٍ.

- في عام ١٩٣٨م- على سبيلِ المثالِ- قال مهاتما غاندي- الذي ساعدت فلسفتُه في تعريفِ الأمَّةِ الهنديَّةِ، وألهمت حركة حقوقِ الإنسانِ العالَميَّةَ-: «لن يكون هناك سلامٌ دائمٌ على الأرضِ ما لم نتعلَّمْ، ليس فقط أنْ نتسامحَ، بل حتَّى كيفيةَ احترامِ العقائدِ الأخرى»(*).

- وفي الآونةِ الأخيرةِ تناولَ عالِمُ اللاهوت السويسريّ(هانز كونج) نفسَ الموضوعِ عندما قال: «لا يمكنُ أن يكونَ هناك سلامٌ بين الأممِ بدون سلامٍ بين الأديانِ»(*).

- وفي يناير ١٩٤١م -على سبيلِ المثالِ- أعلنَ الرَّئيسُ«فرانكلين ديلانو روزفلت» فلسفتَه الأساسيَّةَ عن الأمنِ الدَّوليِّ والنِّظامِ العالَميِّ المعروفِ باسمِ «الحريات الأربعة». وتضمنت حُرِّيَاتُ روزفلت الأربعةُ: حريَّةَ التَّعبيرِ، والتَّحررَ من العَوَز، والتَّحررَ من الخوف، وحريَّةَ كُلِّ شخصٍ لعبادةِ اللَّه بطريقتِه الخاصَّةِ في كُلِّ مكانٍ في العالَمِ(*).

- وفي القرنِ الواحدِ والعشرين، يجبُ على صانعي السَّلامِ المسيحيين والمسلمين أن يبنُوا جهودَهم على الإرثِ الفكريِّ لغاندي، وكونغ، وروزفلت، وأن يُنْشِئُوا آلياتٍ تستخدمُ الحوارَ بين الأديانِ كأداةٍ لحلِّ النِّزاعِ،إنَّ الفجوةَ المؤسسيَّةَ في منظماتِنا الدَّوليَّةِ الحاليةِ ملفتةٌ للنَّظرِ.

وبالنَّظَرِ إلى الحقائقِ الحاليةِ للصِّراعِ العالَمِيِّ، لم يَعُدْ من الممكن تصوُّرُ صُنْعِ السَّلامِ من النَّاحيةِ السِّياسيَّةِ والاقتصاديَّةِ والتِّقنيَّةِ وحدَها، يجبُ تقديرُ الأبعادِ الرُّوحيَّةِ والثَّقافيَّةِ وإدماجِها في هذه العلميةِ، وفي الواقعِ يمكنُ لأولئك الذين يعيشون بينَنا من الملتزمين بشدة بالحوارِ بينَ المسلمين والمسيحيين، باعتبارِه ركيزةً لحلِّ النِّزاعِ، أن يُشيروا إلى التَّاريخِ كمثالٍ لإقناعِ المشككين في فعاليةِ نهجِنَا.

وفي الواقعِ، فقد قَدَّمَ العربُ في كُلِّ حقلٍ من حقولِ المعرفةِ - بما في ذلك التَّاريخ، والجغرافيا، والفلسفة، واللاهوت، والرياضيات، والعلوم، والطِّب

- إسهاماتٍ ملحوظةً وذات أثرٍ دائمٍ، وضعت الأساسَ للنَّهضةِ الأوروبيَّةِ، ومِن ثَمَّ لولادَةِ العالَمِ الحديثِ، يوضحُ هذا التَّاريخُ القدراتِ الهائلةَ التي أُطلقَ لها العنَانُ عندما تصلُ المجتمعاتُ الإسلاميَّةُ والمسيحيَّةُ إلى التَّقاربِ الذِّهنيِّ، بهذه الطريقةِ استجاب أبناءُ وبناتُ لبنانَ لنداءِ شاعرِ الدَّولةِ الوطنيِّ العظيمِ«خليل جبران»، عندما أنشدَ قائلا:
«أَنْتَ أخِي وأَنَا أُحِبُّكَ.. أُحِبُّكَ سَاجِدًا في جَامِعِكَ، ورَاكِعًا في هَيْكَلِكَ،ومُصَلِّيًا في كَنِيسَتِكَ، فأنْتَ وأنَا ابْنَا دِينٍ واحدٍ؛ هُوَ الرُّوحُ، وزُعَمَاءُ قُرُوعِ هذا الدِّينِ أصابعُ ملتصقةٌ في يدِ الألوهيَّةِ المشيرةِ إلى كمالِ النَّفْسِ؛ يَدٌ ممدودةٌ للجميعِ، تمنحُ كمالَ الرُّوحِ لكُلِّ الرَّاغبينَ في الجميعِ»(*).
واليومَ يجبُ السَّمَاحُ للبنان مرةً أخرى بلعبِ دورِه كهمزةِ وَصْلٍ بين الشَّرقِ والغَرْبِ، بينَ الإسلامِ والمسيحيَّةِ، يمكنُ أن يكونَ هذا الدَّورُ - الذي يُمَثِّلُ حَلْقَةَ وَصْلٍ بين الأديانِ والثَّقافاتِ- بمثابةِ مهمَّة وطنيَّةٍ لبنانيَّةٍ جديدةٍ في عصرِ العَوْلَمَةِ.
سنبقى في حالةٍ من التِّيه حتَّى نُحَدِّدَ نَوعَ المبادئِ المبهمةِ والعالَميَّةِ التي يمكنُ أن تكونَ بمثابةِ أساسٍ متينٍ لـ«السَّلام العالَميّ»، لن يُقَدِّمَ أيُّ نظامٍ اقتصاديٍّ-حتَّى نظام السُّوقِ الحُرَّةِ العَالَمِيِّ- حلولاً للمعضلات الكبيرةِ التي نواجهُهَا، من المُؤكَّدِ أنَّنا بحاجةٍ إلى الازدهارِ الذي توفِّرُه الاقتصادياتُ القَويَّةُ، ولكنَّ مجتمعَنا العالَميَّ النَّاشئَ يحتاجُ إلى ثروةٍ رُوحيَّةٍ أكثر مِن احتياجِه الثَّروةَ الماديَّةَ، ومن خلالِ المبادئِ والأفكارِ السَّائدةِ عالميًّا فقط يمكنُ أن نحظى بدعمِ شُعُوبِ العالَمِ لأيِّ نظامٍ جديدٍ نَبْتَكِرُهُ.
إنَّ الطَّريقةَ الوحيدةَ التي يمكنُ من خلالها تجاوزُ الحَوَاجِزِ العَدِيدَةِ أَمَامَ التَّواصُلِ عن طريقِ العودةِ إلى المبادئِ التي حَوَّلَتِ العالَمَ القديمَ من مجتمعاتٍ بدائيَّةٍ إلى مجتمعاتٍ أكثر تَحَضُّرًا، وسنجدُ تلك المبادئَ في توليفةٍ من التَّعاليمِ الدِّينيَّةِ. إنَّ جميعَ النَّاسِ-سواءٌ أكانوا مؤمنين بعقيدةٍ معينةٍ أم لا- قد تأثروا واستلهَمُوا التَّقاليدَ الدِّينيَّةَ العديدةَ التي هي بمثابةِ التُّراثِ الجماعيِّ للبشريَّةِ، إنَّه تراثٌ جماعيٌّ، إنَّه توليفةٌ تُوفِّرُ نهجًا عالميًّا، واستجابةً عالَميَّةً، وحُلُولًا عالَميَّةً.
وتُعَدُّ توليفةُ المُعْتَقَدَاتِ الدِّينيَّةِ شَرْطًا لازمًا لحلِّ الصِّراعاتِ على نطاقٍ عالَمِيٍّ، ويمكنُ لِمِثْلِ هذه التَّوليفةِ أن تُزوِّدَ البَشَرِيَّةَ المرتبكةَ بالمبادئِ والتَّوجيهاتِ، وحتَّى اللغةِ المشتركةِ للمصالحة. نحنُ نحتاجُ إلى استخلاصِ

رُؤًى من التُّراثِ المُشْتَرَكِ بيننا، ومن تقاليدِنا، وقِيَمِنَا العُلْيَا لحلِّ الصِّراعاتِ المستمرَّةِ، أو التي تظهرُ على السَّطحِ مرةً بعدَ أخرى.

إنَّ الخطرَ الأعظمَ على أتباعِ الدِّياناتِ المختلفةِ وللإنسانيَّةِ بشكلٍ عامٍّ ليس العقيدةَ الدِّينيَّةَ نَفْسَهَا؛ بل التَّفسيراتِ الخبيثةَ للكتبِ الْمُقَدَّسَةِ، تلك التَّفسيراتُ المُنْحَرِفَةُ قد ساعدَتْ في تَبْرِيرِ أَقْصَى الأفعالِ البَشِعَةِ، بما في ذلكَ الإبادةُ الجمَاعيَّةُ.

ومن المُمْكنِ لنا في إطارِ هذا المنتدى، في القاهرةِ، أن نَدْعَمَ الأفكارَ التَّاليةَ:

يمكنُ لهذا المنتدى إجراءُ بحثٍ شاملٍ، واعتمادِ نهجٍ كاملٍ في جمعِ المعلوماتِ الضَّروريَّةِ، سواءٌ انبثقتْ هذه المعلوماتُ عن التَّقاليدِ الدِّينيَّةِ والرُّوحيَّةِ، أو من خلالِ العلومِ الاجتماعيَّةِ، وقبلَ كُلِّ شيءٍ، لا بُدَّ من الاهتمامِ ببيانِ القِيَمِ المَقْبولةِ عالَمِيًّا والتي يمكنُ-بل ويجبُ- أن تُؤَثِّرَ في موقفِنا تجاه القضايا العادلةِ، وقضايا السَّلامِ، وقضايا العولَمَةِ.

١- يمكنُ لهذا المنتدى أن يُوَفِّرَ لكافَّةِ شُعُوبِ العالَمِ، من خِلالِ الأُمَمِ المُتَّحِدَةِ تَقَارِيرَ منتظمةً عن النَّتائجِ التي تَوَصَّلَ إليها، وتقديمَ توصياتٍ بشأنِ السِّياسةِ، ربما يمكنُ القيامُ بدراساتٍ استقصائيَّةٍ عن مختلفِ الأزماتِ التي تكتنفُ المجتمعَ الحديثَ، وبالتَّالي يمكنُ أن نجدَ إجاباتٍ عن سببِ تَعَرُّضِ عالَمِنَا لمثلِ هذه التَّجارُبِ المُرَوِّعَةِ في هذا القرنِ.

٢- يمكنُ لهذا المنتدى إجراءُ مشاوراتٍ واسعةِ النِّطاقِ تشملُ مؤسساتٍ إقليميَّةً ودوليَّةً تتعاملُ مع المصالحِ المشتركةِ لشعوبِ العالَمِ، وقد أُنشئت المحكمةُ الجنائيَّةُ الدَّوليَّةُ ليوغوسلافيا السَّابقة، ورواندا، ولبنان، وقامت بمحاكمةِ بضعةِ أشخاصٍ متهمين بارتكابِ جرائمِ حربٍ وجرائم ضِدَّ الإنسانيَّةِ، ولكن ما زال من غيرِ الواضح ما هي آليةُ عَمَلِ المحكمةِ، وهي لا تزالُ خاضعةً لضميرِ القضاة العديدين الموجودين في تلك الهيئةِ، ويمكنُ لمثلِ هذا المنتدى أن يُوَفِّرَ السُّبلَ اللازمةَ لإضفاءِ الشَّرعيَّةِ الأخلاقيَّةِ على أنشطةِ المحكمةِ الجنائيَّةِ الدَّوليَّةِ.

السَّيِّدَاتُ والسَّادَةُ:

هُناك حاجةٌ اليومَ أكثر من أيِّ وقتٍ مَضَى، للقادةِ أصحابِ الرُّؤى؛ القادةِ الذين يتجاوزون المُقَارَبَاتِ الماديَّةَ، ويدعمُون القِيَمَ السَّاميَةَ، هناك حاجةٌ إلى القادةِ للمساعدةِ في توجيهِنا في هذا المشروعِ الكبيرِ. نحن بحاجةٍ إلى قادةٍ يَتَحَلُّون بالنَّزاهةِ، ويَسْعَوْن وراءَ الحقيقةِ حتَّى النِّهايةِ، ويحافظون على

الشَّجاعةِ للتَّعبيرِ عن قَناعاتِهم، ويرفضون الإذعانَ أمامَ إملاءاتِ الماديَّةِ والنَّفعيَّةِ، لقد خاطرَ بعضُ القادةِ بكُلِّ شيءٍ لتحقيقِ السَّلامِ، وتوافقِ الآراءِ، وتحقيقِ الرَّخاءِ لشعوبِهم، وبَدَأوا بالفعلِ في حَشْدِ الزَّخمِ لتحقيقِ التَّغييرِ، وقد تَطَلَّبَ الأمرُ الكثيرَ من الشَّجاعةِ من جانبِ «السَّادات وبيجين»؛ لتسويةِ النِّزاعِ التَّاريخيِّ المصريِّ الإسرائيليِّ، كما كان الحالُ بالنسبةِ لـ «مانديلا ودي كليرك» في جنوبِ إفريقيا لتفكيكِ نظامِ الفصلِ العنصريِّ؛ كما تَعَهَّدَ «عرفات ورابين» ببذلِ كُلِّ الجهودِ السِّلْمِيَّةِ؛ والأمرُ ذاتُه ينطبقُ بالنِّسبةِ لـ «غورباتشوف» حينَ دَشَّنَ عمليةَ الإصلاحِ الديمقراطيِّ في بلادِه، لقد تَغَلَّبَ هؤلاءِ القادةُ على أهواءِ الذَّاتِ، وتَبَنَّوا شُعورًا بالمسؤوليَّةِ العالَمِيَّةِ، وجعلوا مفهومَ المجتمعِ العالَمِيِّ ذي القِيَمِ العالَمِيَّةِ أكثرَ قابليةً للاستمرارِ والتَّطبيقِ.

السَّيِّداتُ والسَّادةُ:

اسمَحُوا لي أنْ أُحَيِّيَ مرةً أخرى الجِهَاتِ المُتَميِّزةَ الدَّاعيةَ لعقدِ هذا المؤتمرِ: فضيلةَ الإمامِ الأكبرِ الدُّكتورِ/ أحمد الطَّيِّب- شيخ الأَزْهَرِ، ومركزَ نظامي الكنجوي الدَّوليَ، على رؤيتِهم التي عرضوها للمِّ الشَّملِ في هذا المؤتمرِ المهمِّ حولَ «الإسلام وأوروبا»، نحنُ لسنا بحاجةٍ إلى أكثر من عقيدةٍ تُؤْمِنُ بالتَّفاهمِ المشتركِ بينَ الإسلامِ والمسيحيَّةِ، وهذه العقيدةُ على وجهِ الخصوصِ، هي ما يُمْكِنُ أن تكونَ بمثابةِ أساسٍ لنظَامٍ عالَمِيٍّ عَادلٍ.

شُكْرًا لَكُم

***